Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنها الفرنسي ومنها الانجليزي، . . . كل يجري في مذهبه ويتصرف في الدائرة الخاصة به، فلا عجب إذا صدر عن تلك المجموعة «الزيورية» كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات.

والظاهر أن زيور باشا، برغم حرصه على كل هذه الممتلكات الواسعة، عاجز تمام العجز عن إدارتها وتوليها بالمراقبة والإشراف، وما دامت «الإدارة المركزية» فيه قد فشلت فأحرى به أن يبادر فيعلن إعطاء كل منها «الحكم الذاتي» على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج في سبيل الرقي والكمال، وحسب عقله، في هذا النظام الجديد، أن يتوافر على إدارة رجليه وحدهما، ولعله يستطيع أن يسيرهما في طريق الأمن والسلام. . . ثم ختم قوله ببيت أبي نواس:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

هذه صورة تهكمية لاذعة، لا تجود بها كل قريحة ولا تقوى عليها كل موهبة. . . أرأيت إليه كيف مثّل بصاحبه وشوّه خلقته؟ وكيف إستعان على ذلك بفن [الكاريكاتير]. الساخر فأبدع واوجع، وترك الناس من حوله يضحكون ويعجبون؟، بل أرأيت إلى أي حد كان يصطنع أسلوب الجاحظ، ويترسم خطاه في «لقطاته» الفنية؟

على أن الجاحظ ـ في رسالته ـ لم يقف عند حد تشويه الخلقة، وتقبيح الظاهر، بل شوه أيضاً عقل غريمه، وجرده من العلم والأدب: إذ جعله «لا يعرف من الكتب إلا أسماءها، وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأديب».

ثم أراد أن يفصّل ما أجمل، فطرح عليه مائة سؤال في مختلف العلوم وهو على يقين أنها فوق طاقته، ولن يحير لها جواباً. . . وعندها سيتضح للملأ عجزه وجهالته وتلك أراد.

وهو في كل ذلك لا ينسى أن يقرنه ـ بأسلوبه الساخر بأحداث الماضي البعيد تندراً بكبر سنه، وتقادم ميلاده، في الوقت الذي يدعي فيه الشباب استمع إليه يقول: